جـــامعة الأزهـــــر
كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها
بطنـــــــطا

إِنْصَافُ الْقُرْآنِ لأَهْلِ الْكِتَابِ
دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ

إعداد
د/ عمر بن مبيريك الحسيني

١٤٤٢هـ = ٢٠٢١م

إنصاف القرآن لأهل الكتاب دراسة موضوعية

د. عمر بن مبيريك الحسيني

قسم الدراسات القرآنية ، جامعة طيبة ، المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: mostafaaly٧٠@gmail.com

ملخص البحث :

بين البحث أسلوب القرآن في مخاطبة أهل الكتاب وصيغه وتأثيرها في المدح والذم، ثم استعرض الآيات التي أثنى الله فيها على طائفة من أهل الكتاب، وقد بلغت إحدى عشرة آية، ثم استخرج الباحث الصفات التي أثنى الله بها على هذه الطائفة، وهذه الصفات تندرج تحت عناوين أربعة هي: العلم، والإيمان، والعبادة، والأخلاق.

ثم بين البحث أن الطائفة المقصودة بها الثناء هي من أدرك النبي ﷺ من أهل الكتاب وآمن به كعبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود والنجاشي ومن أسلم من النصارى. ولم يخالف في هذا من المفسرين إلا الشيخ محمد عبده وتلميذه الأستاذ محمد رشيد رضا، فقد ذهبا إلى أن الفلاح والفوز بالجنة في الآخرة ورضا الله سبحانه وتعالى يعتمد على صدق الإيمان به، ولا اعتبار لأنساب الشعوب وما تدين به من دين، وما تتخذه من ملة.

الكلمات المفتاحية: الصفات التي أثنى الله بها – أهل الكتاب– ثناء الله – أهل الكتاب في القرآن الكريم.

Fairness of the Qur'an for the People of the Book, an objective study

Dr.. Omar bin Mubaireek Al-Husseini
Department of Quranic Studies, Taibah University, Saudi Arabia
Email: mostafaaly٧٠@gmail.com

Abstract:
The research shows the method of the Qur'an in addressing the People of the Book, its formula and its effect on praise and slander, And their effect on praise and slander, then he reviewed the verses in which God praised a group of the People of the Book, which amounted to eleven verses, then the researcher extracted the attributes that God praised for this group, and these attributes fall under four headings: knowledge, faith, worship and morals, then The research showed that the group intended for praise is the one who recognized the Prophet, may God bless him and grant him peace, from among the People of the Book and believed in him, such as Abdullah bin Salam and his companions from among the Jews, the Negus, and the Christians who embraced Islam. Only Sheikh Muhammad Abduh and his student, Professor Muhammad Rashid Rida, disagreed in this regard. They argued that success and victory in Paradise in the Hereafter and the satisfaction of God Almighty depends on the sincerity of belief in Him, and there is no consideration for the lineage of peoples, their religion, and the religion they adopt.

Keywords: Attributes that God praised - People of the Book - praise of God - People of the Book in the Holy Quran

المقدمـــــــة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعـــــــد .....

فإن من نعم الله تعالى على البشرية أن أرسل الله خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ إلى الناس كافةً وأنزل معه القرآن الكريم لينظم حياة الناس ويجمعهم على كلمة التوحيدِ وليكشف لهم حقيقة الاختلاف والتحريف الذي ارتكب من أهل الأديان السابقة في كتبهمِ ويبين لهم ما أخفوه من الآيات والأحكامِ ليجتمع الناس بذلك على كلمة سواء؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران].

فكانت رسالة سيدنا محمد ﷺ رحمة للعالمينِ وخاتمة لرسالة النبيينِ وعامة لجميع البشر دون استثناءٍ وناسخة لجميع الشرائع قبلها.

* ـ قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ].

*ـ وقال: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ... ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب].

*ـــ وقـــال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ... ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة].

وقد كان المأمول من أهل الكتاب اليهود والنصارى أن يؤمنوا بمحمد رسول الله وينصروه بحسب العهد والميثاق المأخوذ عليهم؛ كونه قد بشر به أنبياؤهم في كتبهم وذكروا لهم من صفاته وبلده وزمنه وصفات أصحابه ما يقتضي أن يعرفوه فيتبعوه؛ لكن الذي حدث من أكثرهم عكس ذلك فإنهم ناصبوه العداء طوال حياتهم وكذبوه وآذوه كما فعلوا بمن قبله من الرسل والأنبياء.

ولذلك جاءت نصوص القرآن تكشف لنا الصفات السيئة والحسنة فيهم، وتوضح لنا طريقة التعامل معهم من أجل توجيه المسلمين، وتبصيرهم بأهل الحق وأهل الباطل، ليقدروا كل شيء قدره الذي يستحقه، ويضعوا الأمور في مكانها الصحيح.

وهذا ما دفعني إلى عمل بحث لتوضيح الصفات التي استحق فيها طائفة من أهل الكتاب الثناء من الله تعالى في كتابه الكريم، وبيان المقصودين بهذا المدح، وسميته: الصفات التي أثنى الله بها على أهل الكتاب في القرآن الكريم.

منهج البحث:

سوف أبين في هذا البحث الصفات التي ارتضاها الله من أهل الكتاب وأثنى بها عليهم في القرآن الكريم، وأذكر كلام العلماء في الطائفة المقصودة بهذا المدح. وسوف أعتمد في سبيل الوصول إلى ذلك الطريقة العلمية في البحث العلمي، وهي التي تجمع بين استقراء النصوص وجمع الروايات ومن ثم التحليل والاستنتاج.

الدراسات السابقة:

لم أجد فيما اطلعت عليه دراسة مستقلة تناولت الموضوع بالمنهجية التي رسمها البحث، إلا أنني وقفت على بعض المصادر

التي تناولت جانبًا من جوانب البحث، وسوف أستعرض هذه المصادر وأبين مدى علاقتها بالبحث، والموضوعات التي تناولتها، وهي:

١ ـ **"آيات أهل الكتاب في القرآن الكريم: دراسة عقدية"** للباحث: حسن إبراهيم كريرة، وهو رسالة ماجستير في جامعة العلوم الإسلامية العالمية، ويظهر من خلال العنوان أن البحث تناول جانبًا آخر من خطاب القرآن لأهل الكتاب، وهو الجانب العقدي.

٢ ـ **"خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم ، دراسة حجاجية"**. للباحث: أرجوان حسن علي الوائلي، وقد تناول الباحث أسلوب مجادلة القرآن الكريم لأهل الكتاب.

٣ ـ **"الأسلوب القرآني و أثره في أهل الكتاب في القرآن الكريم"**، لمراد حميد عبد الله، وهو بحث منشور في مجلة جامعة البصرة، كلية الآداب، تحدث فيه الباحث على أسلوب التدرج، واللين، والخطاب الاستراتيجي وغيرها من الأساليب التي ذكرها الباحث.

٤ ـ **"كيفية التعامل مع أهل الكتاب فى ضوء الكتاب والسنة"**، عبدالحميد بن عبدالرحمن السحيباني، الناشر: الجامعة السلفية – دار التأليف والترجمة. وقد تناول البحث بعض الآيات التي أثنى الله بها على أهل الكتاب، لكن تناوله لها كان لهدف آخر غير ما يرمي إليه البحث.

وهناك دراسات أخرى تتعلق بأهل الكتاب في القرآن الكريم، لكن تناولها للموضوع يختلف عن المنهجية التي سار عليها البحث، وقد أفدت من هذه البحوث من جانب جمع الآيات المتعلقة بأهل الكتاب.

تقسيمات البحث:

قسمت البحث إلى : مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة.

ذكرت في **المقدمة** هدف البحث وأهميته، وذكرت في التمهيد المراد بأهل الكتاب في اللغة والاصطلاح، وأما **المباحث** فهي:

المبحث الأول: أسلوب القرآن في مخاطبة أهل الكتاب وصيغه وتأثيرها في المدح والذم.

المبحث الثاني: كثرة حديث القرآن عن أهل الكتاب والحكمة منه.

المبحث الثالث: الصفات التي أثنى الله بها على أهل الكتاب.

المبحث الرابع: الطائفة المقصودة في الآيات التي أثنى الله بها على أهل الكتاب.

وذكرت في **الخاتمة** أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

هذا ...وأسأل الله أن يجعل هذا البحث خالصًا لوجهه الكريم؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تمهيـــــــــد
"أهـــــــــل الكتاب"
تعريفهم ، والمراد بهم في القرآن الكريم

أهل الكتاب: مركب إضافي مؤلف من كلمتين (أهل وكتاب).

أما أهل فتعني في اللغة: العشيرة، والأقرباء، ج: أهلون وأهال وآهال وأهلات، ويحرك. وأهل يأهل ويأهل أهولاً، وتأهل واتهل: اتخذ أهلاً.

وأهل الأمر: ولاته، والبيت: سكانه، والمذهب: من يدين به[1] .

وأما الكتاب فيعني في اللغة: الخط والاستملاء. والكتاب أيضًا: ما يكتب فيه، والدواة، والتوراة، والصحيفة، والفرض، والحكم، والقدر[2].

وأهل الكتاب: هم من يعتقد دينًا سماويًا، أي: منزلًا بكتاب؛ كاليهود والنصارى.

فاليهود كتابهم التوراة، والنصارى كتابهم الإنجيل، وهم الذين توجه إليهم الخطاب في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [3].

وقد وقع الخلاف بين العلماء فيمن يدخل ضمن مفهوم أهل الكتاب من غير اليهود والنصارى، فذهب الحنفية إلى أن كل من آمن بكتاب نبي من الأنبياء، كالزبور وصحف إبراهيم، يدخل في أهل الكتاب، بينما ذهب الحنابلة وأحد الوجهين عند الشافعية إلى أن هؤلاء لا يدخلون في أهل الكتاب[4].

---

(١) القاموس المحيط.ص٩٦٣.

(٢) القاموس المحيط. ص١٢٨.

(٣) الملل والنحل لابن حزم. ٢/ ٤٧.

(٤) روضة الطالبين،١٠/ ٣٠٤. والمغني،١٠/ ٥٥٩.

كما ذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة إلى أن المراد بأهل الكتاب: اليهود والنصارى بجميع فرقهم وجماعاتهم المختلفة ومن دخل في معتقدهم وآمن به دون أن يشمل ذلك غيرهم ممن لا يؤمن إلا بصحف إبراهيم وزبور داود، واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى:﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[الأنعام] [(١)]. وعليه فلا يعتبر جمهور الفقهاء من أهل الكتاب إلا اليهود والنصارى، وأما باقي الديانات التي جاء بها الأنبياء، ونقلوا فيها إلى البشرية شيئًا عن السماء كصحف إبراهيم وصحف داود فلم يعتبروا أصحابها من أهل الكتاب؛ لأن تلك النقولات مواعظ وأمثال لا غير، ولم تأت فيها أحكام يجب الالتزام بها، فلم يثبت لها حكم الكتب السماوية الأخرى المشتملة على أحكام وتكاليف كالتوراة والإنجيل.

قال الشهرستاني: (أهل الكتاب: الخارجون عن الملة الحنيفية، والشريعة الإسلامية؛ ممن يقول بشريعة وأحكام، وحدود وأعلام وهم قد انقسموا إلى من له كتاب محقق؛ مثل التوراة، والإنجيل؛ وعن هذا يخاطبهم التنزيل بأهل الكتاب. وإلى من له شبهة كتاب؛ مثل: المجوس، والمانوية. فإن الصحف التي أنزلت على إبراهيم عليه السلام قد رفعت إلى السماء؛ لأحداث أحدثها المجوس، ولهذا يجوز عقد العهد والذمام معهم، وينحى بهم نحو اليهود والنصارى؛ إذ هم من أهل الكتاب؛ ولكن لا يجوز مناكحتهم، ولا أكل ذبائحهم؛ فإن الكتاب قد رفع عنهم) [(٢)].

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية.٧/ ١٢١.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني.٢/ ١٣.

المبحث الأول
أسلوب القرآن في مخاطبة أهل الكتاب
وصيغه وتأثيرها في المدح والذم

للقرآن الكريم أسلوبه الخاص في مخاطبة الناس ودعوتهم، يتناسب مع عقيدتهم ومكانتهم وأحوالهم، وقد استخدم في مخاطبة اليهود والنصارى صيغًا عدة، لها هدفها في التأثير عليهم، وتذكيرهم بما أولاهم من نعمة الرسل والكتب، ليستنهض فيهم الهمم، ويهز المشاعر للإقبال على ما يقول. وهذه الصيغ هي:

١ــ **(أهل الكتاب)**: وقد وردت في القرآن الكريم ٣١مرة[1]. وجاء الخطاب بعدها على مسوقًا للمدح حينًا، وللذم حينًا آخر.

مثال المدح: قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران].

مثال الذم: قوله تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [البقرة].

٢ ـ **(الذين أوتوا الكتاب)**: وقد وردت في القرآن الكريم١٨ مرة في ١٦ آية، وجاء الخطاب بعدها إما مسوقًا للمدح وللذم معًا، أو للذم فقط، لكنه لا ينفرد بالمدح مطلقًا.

مثاله على المدح والذم: قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ

(١) الخطاب القرآني لأهل الكتاب. ص٦٣.

ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة].

ومثال الذم: قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [البقرة].

٣- **(الذين آتيناهم الكتاب)**: ووردت في القرآن الكريم ٦ مرات، ولا يأتي الخطاب بعدها إلا في سياق المدح . كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾[القصص].

٤- **(الذين أوتوا نصيباً من الكتاب)**: ووردت في القرآن الكريم ٣مرات، ولا يأتي الخطاب بعدها إلا في سياق الذم. كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾ [النساء].

٥- **(يا بني إسرائيل)**: ووردت في القرآن٦ مرات[1]، ويأتي الخطاب بعدها لتذكيرهم بما أولاه الله تعالى عليهم من نعمه. كقوله تعالى:﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [البقرة].

وهناك ألفاظ أخرى وردت في حديث القرآن عن كل طائفة بعينها من أهل الكتاب، وهي: اليهود والنصارى، والذين هادوا، والحواريون.

---

(١) الخطاب القرآني لأهل الكتاب. ص٦٣.

المبحـــث الثاني
كثرة حديث القرآن عن أهل الكتاب والحكمة منه

أكثر القرآن الحديث عن أهل الكتاب، وسمى بعض السور بأسماء لها صلة واضحة بهم؛ كسورة البقرة نسبة إلى البقرة التي أمروا بذبحها، وسورة آل عمران نسبة إلى العائلة المؤمنة التي خرجت منها مريم وعيسى عليهما السلام، وسورة المائدة نسبة إلى المائدة التي طلبوا إنزالها عليهم، وسورة يوسف نسبة إلى نبي من أنبيائهم، وسورة مريم، بل سمى إحدى السور باسمهم وهي سورة: بني إسرائيل، والتي أصبحت تشتهر بالإسراء.

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أنه قد كشف كشفًا تفصيليًا عن دعاوى أهل الكتاب، وانحرافاتهم، وغلوهم في الدين، وعلاقتهم بأنبيائهم وكتبهم السماوية، وما أدخلوه عليها من التحريف والتبديل، وما كتموه منها، وما آل إليه حالهم بعد تطاول الزمن عليهم، من قسوة قلوبهم، والبعد عن الطريق المستقيم، والغلو في الدين، حتى نسبوا الولد والبخل والفقر لله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

ويعود كثرة حديث القرآن عن أهل الكتاب إلى أسباب عدة، منها:

*- أن رسالة النبي ﷺ ناسخة لجميع الرسالات السماوية قبلها كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾ [سبأ].

كما أن القرآن ناسخ للكتب السماوية ومهيمن عليها، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ٤٨ ﴾ [المائدة]؛ فجاء

اهتمام القرآن بدعوة أهل الكتاب في المقام الأول لأن إيمانهم برسالة النبي ﷺ سيكون سببًا في إيمان غيرهم من المشركين الذين سيقتدون بهم لما عندهم من البينات والعلم. قال تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ [البقرة]. قال الراغب في مفردات القرآن: أي لا تكونوا ممن يقتدى بكم في الكفر(١).

*- الاحتكاك المباشر مع المسلمين في المدينة المنورة. والعيش معهم في ظل الدعوة الإسلامية الجديدة.

*- كتمانهم صفة النبي ﷺ والبشارة به كما هو موجود في كتبهم.

*- الحسد والحقد الذي تولد في نفوسهم عندما علموا أن النبي ﷺ ليس من جنسهم.

*- إيذاء المسلمين ونصب الكمائن لهم وتأليب الأعداء عليهم كما هو معلوم في سيرتهم مع النبي ﷺ والمسلمين.

لذلك أراد القرآن الكريم استمالة أهل الكتاب إلى الدخول في الإسلام، والإيمان بالقرآن وأنه مصدق للتوراة والإنجيل، وأنها كلها من عند الله سبحانه وتعالى. كما أراد تحصين المسلمين من أن ينخدعوا بدعاواهم الباطلة، وما يثيرونه من شبهات بغرض تشكيكهم في دينهم، وتحذير هم أيضًا من الوقوع بمثل ما وقع به أهل الكتاب من الأخطاء حتى لا يصل المسلمون إلى ماصل إليه أهل الكتاب من الضلال والغلو والانحراف عن الطريق المستقيم.

(١) المفردات في غريب القرآن. ص١٠٠.

المبحث الثالث

الصفات التي أثنى الله بها على أهل الكتاب

لم ينظر القرآن إلى أهل الكتاب نظرة إقصاء، بل دعاهم إلى إيجاد قواسم مشتركة بينهم وبين المسلمين، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ...﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران] كما أمر المسلمين أن يرفقوا بهم ويستعملوا الأسلوب الحسن في مجادلتهم فقال: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ...﴿٤٦﴾ ﴾[العنكبوت].

وقد تحدث القرآن عنهم في آيات كثيرة، جاء غالبها في سياق الذم، لكنه ذم متجه نحو الأفعال السيئة التي عملوها، أو المعتقدات الباطلة التي اتبعوها، أو الانحرافات التي ارتكبوها، أو رفضهم للإيمان بالنبي الذي حدثتهم عنه أنبياؤهم وكتبهم.

ولم يشمل القرآن الكريم بالذم كل أهل الكتاب، بل استثنى طائفة منهم فأثنى عليهم، بما حملوه من صفات حسنة.

وتندرج هذه الصفات بشكل عام تحت أطر أربعة: العلم والإيمان والعبادة والأخلاق:

١-العلـــم: عندما تحدث القرآن عن ظلم أهل الكتاب، وصدهم عم سبيل الله، وأكلهم الربا وأموال الناس بالباطل، استثنى منهم الراسخين في العلم، لأن علمهم أوصلهم إلى معرفة الحق والإيمان به، وقد ورد ذلك في آيتين:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴿١٦٢﴾ ﴾[النساء].

قال النيسابوري: "ثم وصف طريقة المؤمنين المحقين منهم فقال: لكن الراسخون في العلم منهم، يعني عبد الله بن سلام وأضرابه، ممن نبت في العلم، وثبت وأتقن واستبصر، حتى حصلت له المعارف بالاستدلال واليقين دون التقليد والتخمين، لأن المقلد يكون بحيث إذا شكك تشكك، أما المستدل فإنه لا يتشكك البتة"(١).

وقال أبو السعود:(لكن الراسخون فى العلم منهم) استدراك من قوله تعالى: (وأعتدنا...)إلخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلاً أو آجلاً، أي لكن الثابتون في العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كأولئك الجهلة، والمراد بهم عبد الله بن سلام وأصحابه"(٢).

الثانية: قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[الإسراء].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا) [الإسراء: ٩٠] آمنوا بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، أو لا تؤمنوا به، فإن إيمانكم به لن يزيد في خزائن رحمة الله ولا تركككم الإيمان به ينقص ذلك. وإن تكفروا به، فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمني أهل الكتابين، إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرون تعظيمًا له وتكريمًا، وعلمًا منهم بأنه من عند الله، لأذقانهم سجدًا

(١) تفسير النيسابوري.٢/ ٥٢٩.

(٢) تفسير أبي السعود.٢/ ٢٥٣.

بالأرض"[1].

وقال النيسابوري: "ثم خاطب نبيه ﷺ بأن يقول للمقترحين آمنوا به أو لا تؤمنوا وهو أمر وعيد وتهديد وخذلان. قال جار الله: قوله: (إن الذين أوتوا العلم من قبله) إما أن يكون تعليلاً لقل على سبيل التسلية كأنه قيل: تسل عن إيمان الجهلة بإيمان العلماء الذي قرأوا الكتب من قبل نزول القرآن..."[2].

٢- **الإيمان:** استثنى القرآن طائفة من عموم أهل الكتاب الذين كفروا ولم يؤمنوا بالقرآن والرسالة المحمدية، ولم يعملوا بما أمروا به في التوراة والإنجيل، فمدح إيمان هذه الطائفة بما جاء بالقرآن والتوراة والإنجيل، وورد ذلك في أربع آيات.

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران].

قال أبو السعود: (منهم المؤمنون) جملة مستأنفة سيقت جوابًا عما نشأ من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الإيمان عنهم، كأنه قيل: هل منهم من آمن أو كلهم على الكفر؟ فقيل: منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام وأصحابه..."[3].

الثانية: قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾[البقرة].

قال الطبري: "فأخبر الله جل ثناؤه أن المؤمن بالتوراة هو المتبع ما

---

(١) تفسير الطبري.١٥/ ١١٩.

(٢) تفسير النيسابوري.٤/ ٣٩٧.

(٣) تفسير أبي السعود.٢/ ٧١.

فيها من حلالها وحرامها، والعامل بما فيها من فرائض الله التي فرضها فيها على أهلها، وأن أهلها الذين هم أهلها من كان ذلك صفته دون من كان محرفًا لها مبدلًا تأويلها مغيرًا سننها تاركًا ما فرض الله فيها عليه. وإنما وصف جل ثناؤه من وصف بما وصف به من متبعي التوراة، وأثنى عليهم بما أثنى به عليهم؛ لأن في اتباعها اتباع محمد نبي الله ﷺ وتصديقه، لأن التوراة تأمر أهلها بذلك، وتخبرهم عن الله تعالى ذكره بنبوته وفرض طاعته على جميع خلق الله من بني آدم، وإن في التكذيب بمحمد التكذيب لها. فأخبر جل ثناؤه أن متبعي التوراة هم المؤمنون بمحمد ﷺ، وهم العاملون بما فيها"[(١)].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٥٢ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ٥٣ ﴾[القصص].

قال الطبري: "يعني بذلك تعالى ذكره قومًا من أهل الكتاب آمنوا برسوله وصدقوه، فقال الذين آتيناهم الكتاب من قبل هذا القرآن، هم بهذا القرآن يؤمنون، فيقرون أنه حق من عند الله، ويكذب جهلة الأميين، الذين لم يأتهم من الله كتاب"[(٢)].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩٩ ﴾[آل عمران].

---

(١) تفسير الطبري.٢/ ٤٩٥.

(٢) تفسير الطبري.١٨/ ٢٧٦.

قال الطبري: "وإن من أهل الكتاب التوراة والإنجيل لمن يؤمن بالله، فيقر بوحدانيته، وما أنزل إليكم أيها المؤمنون، يقول: وما أنزل إليكم من كتابه ووحيه، على لسان رسوله محمد ﷺ ، وما أنزل إليهم، يعني: وما أنزل على أهل الكتاب من الكتب، وذلك التوراة والإنجيل والزبور، خاشعين لله، يعني: خاضعين لله بالطاعة، مستكينين له بها متذللين"(١).

٣- **العبادة**: أثنى الله على طائفة من أهل الكتاب في ثلاث آيات بعدد من العبادات التي كانت تقوم فيها، وهذه العبادات هي:

القيام بالليل، قال تعالى: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[آل عمران].

"لما بين الله سبحانه - فيما تقدم - أن من أهل الكتاب مؤمنين. وأن أكثرهم فاسقون. وفصل قبائح الفاسقين؛ ناسب أن يعدد فضائل المؤمنين. ومهد لذلك بنفي المساواة بين الفريقين بقوله: (ليسوا سواءً). ثم شرع في تعداد فضائل المؤمنين منهم فقال: (من أهل الكتاب أمة قائمة). أي: جماعة مستقيمة على الحق. وهم الذين أسلموا منهم. (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) أي: يقرءون القرآن حال صلاتهم من الليل"(٢).

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ... ...﴿١١٤﴾ ﴾[آل عمران].

---

(١) تفسير الطبري.٦/ ٣٣١.

(٢) التفسير الوسيط.٢/ ٦٤٠.

- المسارعة في أعمال الخير، قال تعالى: ﴿ ... ... وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤﴾ [آل عمران].

"وهذه الصفات التي وصفهم الله بها. لم تكن موجودة في الفريق الآخر منهم. فقد انحرفوا عن الحق. ولم يعبدوا الله في جوف الليل وأشركوا به وألحدوا في صفاته ووصفوا اليوم الآخر بخلاف وصفه. ولم يأمروا بالمعروف ولم يتناهوا عن منكر فعلوه ولم يسارعوا في فعل الخيرات. فلذلك لا يستوون - عند الله - مع من آمن منهم. كما حكم الله بذلك.

وقد ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ؛ تأكيداً لاستقامة أمر تلك الجماعة المؤمنة منهم؛ وإيذانًا بفساد الفرقة التي لم تؤمن"(١).

الخشوع، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩٩﴾[آل عمران].

"وإن من أهل الكتاب طائفة موفقة للخير، يؤمنون بالله، ويؤمنون بما أنزل إليكم وما أنزل إليهم، وهذا الإيمان النافع لا كمن يؤمن ببعض الرسل والكتب، ويكفر ببعض، ولهذا -لما كان إيمانهم عامًا حقيقيًا- صار نافعا، فأحدث لهم خشية الله، وخضوعهم لجلاله الموجب للانقياد لأوامره ونواهيه، والوقوف عند حدوده"(٢).

(١) التفسير الوسيط.٢/ ٦٤٠.

(٢) تفسير السعدي.ص١٦٢.

الدعوة إلى الحق، قال تعالى: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ ... ﴿١٥٩﴾﴾[الأعراف].

العدل، قال تعالى:﴿ ... وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾[الأعراف].

"دلت الآية على أن الإسلام لا عصبية فيه، وأن الله تعالى يعلمنا طريق الحكم على الناس والأشياء، وهو طريق الحق والعدل، فهو الحكم الموضوعي المجرد، وهو الحكم الأبقى والأخلد. إنها شهادة عظيمة من الله تعالى لجماعة من بني إسرائيل أنهم التزموا الحق والعدل في أنفسهم ومع غيرهم، فآمنوا بالنبي موسى عليه السلام وبمن بعده من الأنبياء، وقضوا بين الناس بالعدل، ودعوا الناس إلى الهداية بالحق"(١).

الاستقامة على الطريق المستقيم دون غلو أو تفريط، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾[المائدة].

"من أهل الكتاب طائفة معتدلة: لم تغل ولم تقصر، وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ وبما جاء به، وبسائر الكتب التي أنزلها الله على رسله، فكانوا بذلك على النهج السليم، والطريق المستقيم دون إفراط أو تفريط"(٢).

الأخلاق: أثنى الله على بعض الأخلاق الحسنة التي تتحلى بها طائفة من أهل الكتاب، وورد ذلك في خمس آيات، وهي:

---

(١) التفسير المنير.٩/ ١٣٤.

(٢) التفسير الوسيط.٢/ ١١١٦.

الأمانة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ ﴿ ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[آل عمران].

"يبين الله أن أهل الكتاب لم يكونوا - في المعاملة المالية مع العرب - على خلق واحد. فمنهم أمناء يؤدون الحق إلى من استأمنهم عليه ولو كان مالا كثيرًا، كعبد الله بن سلام، استودعه عربي قرشي ألفًا ومائتي أوقية ذهبًا، حين كان ابن سلام على يهوديته، فلما طلبها القرشي، أداها إليه كاملة. ومنهم خونة يجحدون أمانات العرب التي استأمنوهم عليها - ولو كانت مالاً قليلاً - ولا يؤدونها إلا بتكرار المواجهة والمطالبة. زاعمين: أن الله أحل لهم سلب أموال الأميين"(١).

- التواضع، قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[المائدة].

"أي: ليس فيهم تكبر ولا عتو عن الانقياد للحق، وذلك موجب لقربهم من المسلمين ومن محبتهم، فإن المتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر"(٢).

(١) التفسير الوسيط.١/ ٥٩٩.

(٢) تفسير السعدي.ص٢٤٢.

- رقة المشاعر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣﴾[المائدة].

"إن أقرب الناس محبة ومودة للمؤمنين هم النصارى أتباع عيسى ابن مريم رسول الله، لما في نفوسهم من الرقة والرأفة والرحمة، والبعد عن التعصب الديني إذا قورنوا باليهود والمشركين الذين دأبوا على الحسد وهضم الحقوق، وسبب مودة النصارى للمؤمنين: وجود قسيسين (علماء) ورهبان (عباد) يدعون للإيمان والفضيلة والتواضع والزهد والتقشف، ولا يستكبرون عن سماع الحق والإنصاف والانقياد له.

وإذا سمع هؤلاء النصارى شيئًا من القرآن، بكوا بكاء حاراً تعاطفًا مع كلام الله، وتأثراً به وبما عرفوا وعلموا من الحق، والبشارة ببعثة محمد ﷺ ، وتراهم يبادرون بصحة دعوة محمد ﷺوبوحدانية الله"[1].

- الصبر، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٥٤﴾[القصص].

"اختلف أهل التأويل في معنى الصبر الذي وعد الله ما وعد عليه، فقال بعضهم: وعدهم ما وعد جل ثناؤه، بصبرهم على الكتاب الأول، واتباعهم محمدًا ﷺ ، وصبرهم على ذلك. وذلك قول قتادة، وقد ذكرناه قبل. وقال آخرون: بل وعدهم بصبرهم بإيمانهم بمحمد ﷺ قبل أن يبعث، وباتباعهم إياه حين بعث. وذلك قول الضحاك بن

(١) التفسير الوسيط للزحيلي.١/ ٤٨٩.

مزاحم"[١].

الإعراض عن اللغو والجاهلين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥﴾ [القصص].

"يؤتيهم الله أجرهم مرتين على ما تقدم بيانه بن الصفات الكريمة، وعلى إعراضهم عن اللغو، وإذا سمعوا ما قاله المشركون من سقط القول وبذيئه أعرضوا عنه ولم يشتغلوا به، (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) أي: قالوا متاركين لهم على سبيل التوديع لا على سبيل التحية: سلام عليكم وأمن منا لكم، فإنا لا نحاوركم ولا نسابكم (لا نبتغي الجاهلين) أي: لا نطلب الجاهلين والسفهاء للجدال والمراجعة والمشاتمة ولا نريد صحبتهم ومخالطتهم، وهذا تعليل لمتاركتهم"[٢].

(١) تفسير الطبري.١٨/ ٢٧٩.

(٢) التفسير الوسيط.٧/ ١٧٨٨.

المبحث الرابع

الطائفة المقصودة في الآيات التي أثنى الله بها على أهل الكتاب

مر معنا أن القرآن الكريم أثنى على طائفة من أهل الكتاب في أحد عشر آية، فمن هي هذه الطائفة؟ هل هي ممن كان في الزمن الذي سبق بعثة النبي ﷺ ؟ أم هي في زمن النبي ﷺ ؟ وإذا كانت في زمن النبي ﷺ كما تنص على ذلك الآيات، فهل هذا المدح يتعلق بها في حال بقائها على دينها؟ أم بعد إيمانها بالنبي ﷺ ؟ وكيف يستقيم هذا مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة من أن رسالة النبي محمد ﷺعامة لكل الناس بما فيهم أهل الكتاب؟ وأنها نسخت جميع الشرائع قبلها، وأوجبت عليهم الإيمان بالنبي ﷺواتباعه، ولا يقبل منهم غير الإسلام دينـًا؟

وأمام هذه التساؤلات وغيرها، ولكي لا يظن أن هناك تعارضـًا في نصوص القرآن الكريم، فلا بد من فهم هذه الآيات الإحدى عشرة في سياقها الصحيح، من خلال الوقوف على معانيها، وأسباب نزولها، وأقوال العلماء والمفسرين فيها.

الآية الأولى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة].

ذكر العلماء في تفسير هذه الآية أن من اتبع الكتاب السماوي الذي أنزل إليه حق اتباعه فسوف يؤمن برسالة النبي ﷺ . قال الطبري: "أخبر الله جل ثناؤه أن المؤمن بالتوراة هو المتبع ما فيها من حلالها وحرامها، والعامل بما فيها من فرائض الله التي فرضها فيها على أهلها،

وأن أهلها الذين هم أهلها من كان ذلك صفته، دون من كان محرفًا لها، مبدلًا تأويلها، مغيرًا سننها، تاركًا ما فرض الله فيها عليه. وإنما وصف جل ثناؤه من وصف بما وصف به من متبعي التوراة، وأثنى عليهم بما أثنى به عليهم؛ لأن في اتباعها اتباع محمد نبي الله ﷺوتصديقه، لأن التوراة تأمر أهلها بذلك، وتخبرهم عن الله تعالى ذكره بنبوته وفرض طاعته على جميع خلق الله من بني آدم، وإن في التكذيب بمحمد التكذيب لها. فأخبر جل ثناؤه أن متبعي التوراة هم المؤمنون بمحمد ﷺ، وهم العاملون بما فيها كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: " في قوله: ﴿... أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ... ﴿١٢١﴾﴾ [البقرة] قال: من آمن برسول الله ﷺمن بني إسرائيل، وبالتوراة، وأن الكافر بمحمد ﷺهو الكافر بها الخاسر، كما قال جل ثناؤه: ﴿ ...وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾[1].

الآية الثانية: ﴿ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[آل عمران].

تتحدث الآية عن خلق الأمانة في الطبيعة البشرية، وأنه أمر يتفاوت فيه البشر، وليس الأمر متعلقًا بأهل الكتاب؛ بل يوجد الأمين والخائن في جميع الناس كافرهم ومسلمهم. ولذلك قال ابن الجوزي: "فإن قيل: لم خص أهل الكتاب بأن فيهم خائنًا وأمينًا والخلق على ذلك، فالجواب: أنهم يخونون المسلمين استحلالاً لذلك، وقد بيته في قوله

(١) تفسير الطبري.٢/ ٤٩٥.

تعالى: (ليس علينا في الأميين سبيل) فحذر منهم. وقال مقاتل: الأمانة إلى من أسلم منهم، والخيانة إلى من لم يسلم"[1].

الآية الثالثة: ﴿... وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران].

إن هذه الجملة هي جزء من الآية الكريمة: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران]. فالواضح من سياق الآية أن الله سبحانه وتعالى ينعى على أهل الكتاب عدم إيمانهم برسالة سيدنا محمد ﷺولو آمنوا لكان خيراً لهم، ثم أخبر الحق عز وجل أن قليلاً منهم من آمن بالنبي محمد ﷺكما ذكر ذلك أهل التفسير.

قال ابن كثير: "ولهذا لما مدح تعالى هذه الأمة على هذه الصفات، شرع في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم، فقال تعالى: (ولو آمن أهل الكتاب) أي بما أنزل على محمد ﷺ (لكان خيراً لهم، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) أي: قليل منهم من يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم، وأكثرهم على الضلالة والكفر والفسق والعصيان"[2].

الآية الرابعة: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[آل عمران].

بعد أن ذكر الله الفريقين من أهل الكتاب بقوله: منهم المؤمنون

---

(١) زاد المسير. ١/ ٢٩٥.

(٢) تفسير ابن كثير. ٢/ ٨٩.

وأكثرهم الفاسقون، ووصف حال الفاسقين بالجبن وملازمة الذل والفاقة والصغار؛ ثم جاءت هذه الآية في الثناء على المؤمنين ووصفهم أحوالهم.

قال الطبري: "وإنما قيل: ليسوا سواءً؛ لأن فيه ذكر الفريقين من أهل الكتاب اللذين ذكرهما الله في قوله: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران] ، ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الفريقين، عنده، المؤمنة منهما والكافرة، فقال: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾ أي ليس هؤلاء سواءً، المؤمنون منهم والكافرون، ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه عن صفة الفرقة المؤمنة من أهل الكتاب ومدحهم وأثنى عليهم، بعدما وصف الفرقة الفاسقة منهم بما وصفها به من الهلع ونخب الجنان، ومحالفة الذل والصغار، وملازمة الفاقة والمسكنة، وتحمل خزي الدنيا وفضيحة الآخرة، فقال: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران] الآيات الثلاث، إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾"[1].

قال ابن كثير: "والمشهور عند كثير من المفسرين كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره، ورواه العوفي عن ابن عباس- أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وغيرهم، أي لا يستوي من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب، وهؤلاء الذين أسلموا، ولهذا قال تعالى: ليسوا سواءً أي ليسوا كلهم على حد سواء، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم، ولهذا قال تعالى: من أهل الكتاب أمة قائمة أي قائمة

(١) تفسير الطبري.٥/ ٦٨٩.

بأمر الله مطيعة لشرعه، متبعة نبي الله، فهي قائمة، يعني مستقيمةً يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون أي يقومون الليل ويكثرون التهجد، ويتلون القرآن في صلواتهم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين"(١).

الآية الخامسة: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾[آل عمران].

حفلت سورة آل عمران بالحديث عن أهل الكتاب ووصف أحوالهم وطريقة مجادلتهم والتعامل معهم، وكانت هذه الآية هي آخر حديث عنهم في هذه السورة، أخبر الله فيها عن طائفة من أهل الكتاب مؤمنة بما أنزل إليهم وما أنزل إلى النبي ﷺ .

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان، ويؤمنون بما أنزل على محمد مع ما هم مؤمنون به من الكتب المتقدمة، وأنهم خاشعون لله أي مطيعون له، خاضعون متذللون بين يديه، لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا، أي لا يكتمون ما بأيديهم من البشارات بمحمد ﷺ وذكر صفته ونعته ومبعثه وصفة أمته، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم، سواءً كانوا هودًا أو نصارى"(٢).

واختلفت الروايات في سبب نزول هذه الآية؛ فقيل: "نزلت في

(١) تفسير ابن كثير.٢/ ٩١.

(٢) تفسير ابن كثير.٢/ ١٧٠.

النجاشي ومن آمن معه، وروي ذلك عن جابر بن عبد الله وقتادة، وقيل: نزلت في عبد الله بن سلام ومن معه، وروي ذلك عن ابن جريج، وقيل: هي عامة فيمن أسلم من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وروي ذلك عن مجاهد. وقد رجح الطبري أنها عامة فيمن أسلم من أهل الكتاب(١).

الآية السادسة: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾[النساء].

جاءت هذه الآية استثناء من سياق الآيات السابقة عليها، والتي وصفت قبيح أفعال أهل الكتاب، وتحريفهم الكلم عن مواضعه، وكفرهم ونقضهم الميثاق مما أدى إلى لعن الله لهم، ثم استثنى الله طائفة منهم من الراسخين في العلم الذين قادهم علمهم إلى الإيمان بالنبي محمد ﷺ.

قال الطبري: "هذا من الله جل ثناؤه استثناء ٱ استثنى من أهل الكتاب من اليهود الذين وصف صفتهم في هذه الآيات التي مضت من قوله: ﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ... ﴿١٥٣﴾ ﴾ [النساء] ثم قال جل ثناؤه لعباده ٱ مبينًا لهم حكم من قد هداه لدينه منهم ووفقه لرشده: ما كل أهل الكتاب صفتهم الصفة التي وصفت لكم ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ... ﴿١٦٢﴾ ﴾ [النساء]وهم الذين قد رسخوا في العلم بأحكام الله التي جاءت بها أنبياؤه ٱ وأتقنوا ذلك ٱ

(١) تفسير الطبري.٦/ ٣٣٠.

وعرفوا حقيقته"[1].

وقال القرطبي: "قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ ﴾ استثنى مؤمني أهل الكتاب، وذلك أن اليهود أنكروا وقالوا: إن هذه الأشياء كانت حرامًا في الأصل وأنت تحلها ولم تكن حرمت بظلمنا، فنزل" لكن الراسخون في العلم" والراسخ هو المبالغ في علم الكتاب الثابت فيه، والرسوخ الثبوت، وقد تقدم في" آل عمران" والمراد عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ونظراؤهما"[2].

الآية السابعة: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[المائدة].

تأتي هذه الآية أيضًا في سياق الحديث عن صفات أهل الكتاب القبيحة واستهزائهم شعائر الدين، وشدة حقدهم على المسلمين ومسارعتهم في الإثم والعدوان وأكلهم السحت، وإيقاد نار الحرب والفساد في الأرض، ومقولاتهم الخبيثة تجاه رب العزة سبحانه.

ثم يخبرنا الله في هذه الآية أنهم لو طبقوا شرع الله كما جاء في التوراة والإنجيل والقرآن لحلت عليهم بركات السماء والأرض، ثم يأتي قوله تعالى: (منهم أمة مقتصدة)، قال أبو السعود: "جملة مستأنفة مبنية على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالتين على انتفاء الإيمان والاتقاء وإقامة الكتب المنزلة من أهل الكتاب كأنه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الإيمان الخ فقيل

(١) تفسير الطبري.٧/ ٦٧٨-٦٧٩.

(٢) تفسير القرطبي.٦/ ١٣.

منهم أمة مقتصدة"[١].

والمقصود بقوله تعالى: (منهم أمة مقتصدة) هم المؤمنون من أهل الكتاب كما قال ذلك أغلب المفسرين[٢].

الآية الثامنة: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾[المائدة].

نزلت هذه الآية في مدح طائفة معينة من النصارى وليست عامة في جميعهم كما قال البغوي: "لم يرد به جميع النصارى لأنهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم، لا ولاء، ولا كرامة لهم، بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه"[٣].

قال ابن الجوزي: "فإن قيل: كيف مدحهم بأن منهم قسيسين ورهبانًا وليس ذلك من أمر شريعتنا؟ فالجواب: أنه مدحهم بالتمسك بدين عيسى حين استعملوا في أمر محمد ما أخذ عليهم في كتابهم، وقد كانت الرهبانية مستحسنة في دينهم. والمعنى: بأن فيهم علماء بما أوصى به عيسى من أمر محمد ﷺ . قال القاضي أبو يعلى: وربما ظن جاهل أن في هذه الآية مدح النصارى، وليس كذلك، لأنه إنما مدح من آمن منهم، ويدل عليه ما بعد ذلك، ولا شك أن مقالة النصارى أقبح من

---

(١) تفسير أبي السعود.٣/ ٦٠.

(٢) تفسير أبي السعود.٣/ ٦٠. تفسير القرطبي. ٦/ ٢٤١.تفسير البغوي. ٣/ ٧٨.

(٣) تفسير البغوي.٣/ ٨٥.

مقالة اليهود"[1].

الآية التاسعة: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[الأعراف].

جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن قصة موسى عليه السلام مع قومه وما حصل لبني إسرائيل من تهاون في دينهم ثم استثنى الله هذه الأمة التي تخالف من تقدم ذكرهم، ووصفهم بأنهم يهدون الناس بكلمة الحق ويعدلون في الحكم بينهم، وهم إما الذين آمنوا بالنبي محمد ﷺأو طائفة في زمن أنبيائهم، كما قال البيضاوي: "ومن قوم موسى يعنى من بني إسرائيل. أمة يهدون بالحق يهدون الناس محقين أو بكلمة الحق. وبه بالحق. يعدلون بينهم في الحكم، والمراد بها: الثابتون على الإيمان القائمون بالحق من أهل زمانه، أتبع ذكرهم ذكر أضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيهاً على أن تعارض الخير والشر وتزاحم أهل الحق والباطل أمر مستمر. وقيل: مؤمنو أهل الكتاب. وقيل: قوم وراء الصين رآهم رسول الله ﷺ ليلة المعراج فآمنوا به"[2].

وذكر الطيبي أقوال المفسرين في تحديد هذه الطائفة ورجح أنهم المؤمنون بالنبي ﷺ فقال: "والحاصل أنه حمل قوله: (ومن قوم موسى) أنه على وجوه:

أحدها: أنهم وجدوا في زمن موسى عليه السلام.

وثانيها: أنهم حدثوا في عهد رسول الله ﷺ .

وثالثها: حصلوا في زمن من الأزمنة.

---

(١) زاد المسير.١/ ٥٧٥.

(٢) تفسير البيضاوي.٣/ ٣٨.

ورابعها: ما وجدوا، ولكن فرض لو كانوا في طرف من الدنيا، إلى آخره.

وأقرب الوجوه - والعلم عند الله - الثاني، وذلك أنه تعالى لما أجاب عن دعاء موسى عليه السلام بقوله: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ...﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف]، إلى قوله﴿ ...ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ...﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف]، وقد سبق أن قوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ...﴿١٥٦﴾﴾[الأعراف]، تبكيت لليهود، وتنبيه لسائر الناس على افتراء اليهود بأنه مبعوث إلى العرب خاصة، وقوله: ﴿...فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ...﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف] إظهار للنصفة، عقبه بقوله: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ ﴾ يعني أن بعض هؤلاء الذين حكينا منهم ما حكينا آمنوا، وأنصفوا من أنفسهم، ويهدون الناس بكلمة الحق، من أنه الرسول الموعود، النبي الأمي، الذي نجده في التوراة. ويعدلون في الحكم، ولا يجورون، ولكن أكثرهم ما أنصفوا، ولبسوا الحق بالباطل، وكتموه، وجاروا في الأحكام، فيكون ذكر هذه الفرقة تعظيمًا بالأكثر"[(١)].

الآية العاشرة: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴿١٠٧﴾﴾[الإسراء].

مدح الله أهل العلم من أهل الكتاب الذين عرفوا علامات النبوة وحقيقة الوحي وميزوا بين الحق والباطل فآمنوا بالنبي ﷺ ، وإذا تلي عليهم القرآن سجدوا تعظيمًا وشكراً لله لإنجاز وعده ببعثة سيدنا محمد ﷺ .

قال البيضاوي: "قل آمنوا به أو لا تؤمنوا فإن إيمانكم بالقرآن لا

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب.٦/ ٦١٨.

يزيده كمالاً وامتناعكم عنه لا يورثه نقصاً وقوله: إن الذين أوتوا العلم من قبله تعليل له أي إن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة، وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل، أو رأوا نعتك وصفة ما أنزل إليك في تلك الكتب، ويجوز أن يكون تعليلاً ل قل على سبيل التسلية كأنه قيل: تسل بإيمان العلماء عن إيمان الجهلة ولا تكترث بإيمانهم وإعراضهم. إذا يتلى عليهم القرآن. يخرون للأذقان سجداً يسقطون على وجوههم تعظيماً لأمر الله أو شكراً لإنجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمد ﷺ على فترة من الرسل وإنزال القرآن عليه"[1].

الآية الحادية عشرة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ۝٥٣ ﴾ [القصص].

بين العلماء أن المراد بهم طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالرسول محمد ﷺ وما جاء به من القرآن. قال الطبري: "وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢ ﴾ [القصص] يعني بذلك تعالى ذكره قومًا من أهل الكتاب آمنوا برسوله وصدقوه، فقال: الذين آتيناهم الكتاب من قبل هذا القرآن، هم بهذا القرآن يؤمنون، فيقرون أنه حق من عند الله، ويكذب جهلة الأميين، الذين لم يأتهم من الله كتاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"[2]. ثم سرد الروايات في أقوال المفسرين في ذلك. فذكر عن ابن عباس ومجاهد

(١) تفسير البيضاوي.٣/ ٢٦٩.

(٢) تفسير الطبري.١٨/ ٢٧٧.

وقتادة أن المراد بهم من آمن بمحمد ﷺ من أهل الكتاب[(١)].

ومن هنا ندرك أنه لا يوجد تعارض في نصوص القرآن بين الآيات الكثيرة التي وردت في ذم أهل الكتاب وأنهم ليسوا على شيء وبين الآيات التي مدحت طائفة منهم بأنهم من الفائزين برضا الله وجناته.

وعليه فقد اتفق جمهور العلماء من المفسرين على أن المقصود بالطائفة الممدوحة من أهل الكتاب هم من أدرك النبي ﷺ من أهل الكتاب وآمن به كعبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود والنجاشي ومن أسلم من النصارى. ولم يخالف في هذا إلا الشيخ محمد عبده وتلميذه الأستاذ محمد رشيد رضا، فقد ذهبا إلى أن الفلاح والفوز بالجنة في الآخرة ورضا الله سبحانه وتعالى يعتمد على صدق الإيمان به، ولا اعتبار لأنساب الشعوب وما تدين به من دين، وما تتخذه من ملة. يقول الشيخ محمد عبده عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [البقرة]: "وأما أنساب الشعوب وما تدين به من دين، وما تتخذه من ملة، فكل ذلك لا أثر له في رضاء الله ولا غضبه، ولا يتعلق به رفعة شأن قوم ولا ضعتهم، بل عماد الفلاح ووسيلة الفوز بخيري الدنيا والآخرة إنما هو صدق الإيمان بالله تعالى"[(٢)].

ويتابع رشيد رضا على نفس المنهج فيقول: "فالآية بيان لسنة الله - تعالى - في معاملة الأمم، تقدمت أو تأخرت، فهو على حد قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا

(١) تفسير الطبري.١٨/ ٢٧٧-٢٧٨.

(٢) تفسير المنار.١/ ٢٧٧.

يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء] فظهر بذلك أنه لا إشكال في حمل من آمن بالله واليوم الآخر. . . إلخ على قوله: (إن الذين آمنوا) . . . إلخ، ولا إشكال في عدم اشتراط الإيمان بالنبي ﷺ ؛ لأن الكلام في معاملة الله - تعالى - لكل الفرق أو الأمم المؤمنة بنبي ووحي بخصوصها؛ الظانة أن فوزها في الآخرة كائن لا محالة؛ لأنها مسلمة أو يهودية أو نصرانية أو صابئة مثلًا، فالله يقول: إن الفوز لا يكون بالجنسيات الدينية، وإنما يكون بإيمان صحيح له سلطان على النفس، وعمل يصلح به حال الناس؛ ولذلك نفى كون الأمر عند الله بحسب أماني المسلمين أو أماني أهل الكتاب، وأثبت كونه بالعمل الصالح مع الإيمان الصحيح"[1].

ووفق هذا المنهج فسرا الآيات التي وردت في مدح أهل الكتاب، وذكرا أن المقصود بالطائفة الممدوحة هم مؤمنون باقون على دينهم من أهل الكتاب.

قال الشيخ محمد عبده عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[آل عمران]: "هذه الآية من العدل الإلهي في بيان حقيقة الواقع وإزالة الإيهام السابق، وهي دليل على أن دين الله واحد على ألسنة جميع الأنبياء، وأن كل من أخذه بإذعان، وعمل فيه بإخلاص فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فهو من الصالحين، وفي

(١) تفسير المنار. ١/ ٢٧٨-٢٧٩.

هذا العدل قطع لاحتجاج أهل الكتاب الذين يعرفون من أنفسهم الإيمان والإخلاص في العمل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - يعني الأستاذ: أنه لولا مثل هذا النص لكان لهم أن يقولوا: لو كان هذا القرآن من عند الله لما ساوانا بغيرنا من الفاسقين ونحن مؤمنون به مخلصون له - وفيه استمالة لهم وتناه عن التفرقة بين الأمم والملل التي لم يكن يعترف فيها أحد الفريقين بفضيلة ولا مزية للآخر، كأنه بمجرد مخالفته له في بعض الأشياء - وإن كان معذورًا - تتبدل حسناته سيئات، وظاهر أن هذا كالذي قبله في أهل الكتاب حال كونهم على دينهم خلافًا لمفسرنا (الجلال) وغيره الذين حملوا المدح على من أسلم منهم، فإن المسلمين لا يمدحون بوصف أنهم أهل الكتاب وإنما يمدحون بعنوان المؤمنين"[(١)].

وهذا الرأي يخالف أقوال علماء الأمة، كما أنه يعارض بعض نصوص القرآن الكريم التي تدل على نسخ الأديان السابقة برسالة النبي ﷺ، وأنه لا اعتبار لإيمانهم مالم يؤمنوا بالنبي ﷺ. مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ٤٧ ﴾ [النساء]. وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩ ﴾[المائدة].

كما أنه يخالف الآيات القرآنية التي نصت على أن الله سبحانه

(١) تفسير المنار. ٤/ ٥٩.

وتعالى أخذ العهد على النبيين أن يؤمنوا بالنبي ﷺ ، وأن يأخذ كل نبي العهد على أمته أن يؤمنوا به،. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران]. وبين صفته لهم في التوراة والإنجيل. ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف]. فالمؤمن الحق من أهل الكتاب هو الذي يطبق ما جاء من أوامر في كتابه باتباع النبي محمد ﷺ وهذا ما حصل مع الطائفة التي مدحها الله تعالى في القرآن.

كما أنه مردود بعموم رسالة النبي ﷺ للناس جميعًا ومنهم أهل الكتاب، وقد ثبتت دعوة النبي ﷺ كيهود المدينة ونصارى نجران، وإرساله الرسل إلى ملوك الدول المجاورة للجزيرة العربية كما أمره الله. قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[آل عمران]. وغير ذلك من نصوص القرآن والسنة التي تدعو إلى ضرورة اتباع النبي ﷺ، وإلا فلا معنى لأمر الله سبحانه وتعالى لنبيه بدعوة أهل الكتاب أو دعوتهم إلى الإيمان بالنبي ﷺما دام يرضى عنهم وهم باقون على دينهم.

ولا يقتضي من عدم قبول إيمانهم حتى يؤمنوا برسالة النبي ﷺ أن نتعامل معهم بخشونة وغلظة ودعوة الإسلام ورسوله رحمة للعالمين. ولكن هناك فرق بين أن نحترمهم لإنسانيتهم وبين أن نحترمهم لدينهم.

الخـــــــاتمة

بعد أن يسر الله لإتمام هذا البحث كان من المفيد أن أستعرض أهم النتائج التي توصلت إليها في النقاط التالية:

١. مصطلح أهل الكتاب في الاستعمال القرآني يقصد به اليهود والنصارى.
٢. أولى القرآن الكريم الحديث عن أهل الكتاب أهمية كبيرة، وذلك من أجل معرفة الأخطاء والانحرافات التي وقعوا فيها حتى يحصن المسلمين من الوقوع فيها.
٣. حاول القرآن أن يجد قواسم مشتركة بين أهل الكاب والرسالة المحمدية ودعاهم إلى كلمة سواء بينهم وهي كلمة التوحيد وأمر المسلمين بحسن معاملتهم .
٤. كشف القرآن حقيقة أهل الكتاب وموقفهم العدائي من النبي ﷺورسالته والكتاب الذي أنزل عليه، وأنهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم مع أنهم مأمورون بنصوص التوراة والإنجيل باتباعه.
٥. لم يقتصر القرآن في خطاب اليهود والنصارى على صيغة واحدة بل جاء الخطاب بصيغ كثيرة، لكل واحدة دلالاتها في المعنى.
٦. (أهل الكتاب): وقد وردت في القرآن الكريم ٣١مرة(١). وجاء الخطاب بعدها على مسوقًا للمدح حينًا، وللذم حينًا آخر.

---

(١) الخطاب القرآني لأهل الكتاب. ص٦٣.

٧. (الذين أوتوا الكتاب): وقد وردت في القرآن الكريم١٨ مرة في ١٦ آية، وجاء الخطاب بعدها إما مسوقًا للمدح وللذم معًا، أو للذم فقط، لكنه لا ينفرد بالمدح مطلقًا.

٨. (الذين آتيناهم الكتاب): ووردت في القرآن الكريم ٦ مرات، ولا يأتي الخطاب بعدها إلا في سياق المدح .

٩. (الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب): ووردت في القرآن الكريم ٣مرات، ولا يأتي الخطاب بعدها إلا في سياق الذم.

١٠. (يا بني إسرائيل): ووردت في القرآن٦مرات(١)، ويأتي الخطاب بعدها لتذكيرهم بما أولاه الله تعالى عليهم من نعمه.

١١. لم يعمم القرآن الذم على جميع أهل الكتاب بل أثنى على طائفة منهم لإيمانهم وعلمهم وأخلاقهم وعبادتهم.

١٢. تندرج الصفات التي أثنى الله بها على أهل الكتاب بشكل عام تحت أطر أربعة: العلم والإيمان والعبادة والأخلاق.

١٣. اتفق جمهور العلماء من المفسرين على أن المقصود بالطائفة الممدوحة من أهل الكتاب هم من أدرك النبي ﷺمن أهل الكتاب وآمن به كعبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود والنجاشي ومن أسلم من النصارى. ولم يخالف في هذا إلا الشيخ محمد عبده وتلميذه الأستاذ محمد رشيد رضا، فقد ذهبا إلى أن الفلاح والفوز بالجنة في الآخرة ورضا الله سبحانه وتعالى يعتمد على صدق الإيمان به، ولا اعتبار لأنساب الشعوب وما تدين به من دين، وما تتخذه من ملة.

---

(١) الخطاب القرآني لأهل الكتاب. ص٦٣.

هذه أهم النتائج التي توصلت إليها، ولا يزال أرى أنه بحاجة إلى مزيد من البحث في موضوع أهل الكتاب وخصوصاً من ناحية تنوع الخطاب القرآني فيهم ودلالاته اللغوية.

وفي خاتمة هذا البحث لا يسعني إلا أن أكرر شكري وحمدي لله سبحانه وتعالى على تفضله بإتمامه، وأسأله أن يجعله خالصاً لوجهه، إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١. **تفسير ابن كثير** :أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). المحقق: سامي بن محمد سلامة. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩ م.

٢. **تفسير أبي السعود** :أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ). الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣. **تفسير البغوي**. المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ). المحقق : عبد الرزاق المهدي. الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت. الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

٤. -**تفسير البيضاوي** :ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ). المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٥. **تفسير السعدي** :عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠ م.

٦. **تفسير الطبري** :محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ). تحقيق: الدكتور عبد الله

بن عبد المحسن التركي. الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م.

٧. **تفسير المنار** :محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ). الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة النشر: ١٩٩٠ م.

٨. **التفسير المنير.** المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي. الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق. الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

٩. **تفسير النيسابوري** :نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ). المحقق: الشيخ زكريا عميرات. الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

١٠. **التفسير الوسيط.** المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي. الناشر: دار الفكر – دمشق. الطبعة : الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١١. **التفسير الوسيط** :مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية. الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).

١٢. **الخطاب القرآني لأهل الكتاب** :هود محمد منصور قُباص أبو راس. رسالة: دكتوراه، قسم القرآن والحديث - أكاديمية الدراسات الإسلامية جامعة ملايا - كوالالمبور- ماليزيا.عام النشر: ١٤٣١ هـ = ٢٠١١ م.

١٣. **روضة الطالبين وعمدة المفتين** :أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ).تحقيق: زهير الشاويش. الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان. الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م.

١٤. **زاد المسير** : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ). المحقق: عبد الرزاق المهدي. الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٥. **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب** :شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ). مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج. القسم الدراسي: د. جميل بني عطا.المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء. الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم. الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ = ٢٠١٣ م.

١٦. **الفصل في الملل والأهواء والنحل** :أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ). الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.

١٧. **القاموس المحيط.** مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ).تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة.بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي.الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ= ٢٠٠٥ م.

١٨. **المغني.** أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ). الناشر: مكتبة القاهرة. الطبعة: بدون طبعة.

١٩. **المفردات في غريب القرآن :**أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ).المحقق: صفوان عدنان الداودي. الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

٢٠. **الملل والنحل.** أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ). الناشر: مؤسسة الحلبي.

٢١. **الموسوعة الفقهية الكويتية.** صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت. عدد الأجزاء: ٤٥ جزءا. الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ).الأجزاء ١ - ٢٣: الطبعة الثانية، دار السلاسل – الكويت. الأجزاء ٢٤ - ٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر. الأجزاء ٣٩ - ٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.

فهرس المحتويات

م	الموضوع	الصفحة
١	مقدمة	
٢	تمهيد: "أهل الكتاب" تعريفهم، والمراد بهم في القرآن الكريم	
٣	المبحث الأول: أسلوب القرآن في مخاطبة أهل الكتاب وصيغه وتأثيرها في المدح والذم	
٤	المبحث الثاني: كثرة حديث القرآن عن أهل الكتاب والحكمة منه	
٥	المبحث الثالث: الصفات التي أثنى الله بها على أهل الكتاب:	
٦	العلم	
٧	الإيمان	
٨	العبادة	
٩	الأخلاق	
١٠	المبحث الرابع: الطائفة المقصودة في الآيات التي أثنى الله بها على أهل الكتاب	
١١	الخاتمة	
١٢	فهرس المصادر والمراجع	
١٣	فهرس الموضوعات	